توظيف التراث وإفرازاته الدلالية في شعر شاكر هادي التميمي

مريم ربيعي نژاديان

طالبة ماجستير في اللغة العربية وآدابها / جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران

رسول بلاوي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران
r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ أستلام البحث : ٢٠١٩/٩/١٨

تاريخ قبول النشر : ٢٠١٩/١٠/٢٠

الخلاصة:

إنّ ظاهرة توظيف التراث تُعتبر من أبرز التّقنيات التي إستخدمها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها أصالة وطاقة لا غنى عنها. وبما أنّ معالم التراث المستدعاة في الأشعار غالباً ما تكون لها إيحاءات شعوريّة في ذهن ووجدان المتلقّي فإذن تؤثّر بصورة أعمق على القارئ. وجد الشاعر العراقي المعاصر شاكر التميمي في التراث مادّة فعّالة في رفد نصوصه الأدبيّة بطاقات دلاليّة، فأقبل في نصوصه على توظيف التراث بمهارات فنّية ودقّة مميّزة. إستلهم شاكر التميمي في شعره من روافد تراثيّة متعددة منها الروافد الدينيّة والأدبيّة والتاريخية والشعبيّة؛ وإنّنا سوف نسلّط الضوء عليها في هذه الدراسة. يبدأ البحث بمقدمات نظريّة تتناول مفهوم التراث والشعر ودوافع الإفادة من التراث، ثم تجليّاته ومكوّناته في دواوينه، وقد قمنا بالتركيز على استلهام المفردات التراثيّة، والتناص القرآني، والشخصيّات التراثيّة، والتراث الشعبيّ واستدعاء الشخصيات التاريخية من خلال عمليّة الاسترجاع إلى الماضي.

الكلمات المفتاحية: الشعر العراقي المعاصر؛ التراث؛ الدين؛ التاريخ؛ الفلكلور؛ شاكر التميمي.

The Elicitation of tradition and its implications in Shaker Hadi Altamimi's Poetry

Maryam Rabie Nezhadian

(MA student, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

Rasoul Balavi

(Associate Professor, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

r.ballawy@pgu.ac.ir

Date of receiving research: 9/18/2019
Publication date accepted: 10/20/2019

Abstract

The phenomenin of Eelicitation of Tradition is one of the most prominent skills by which poets employ to enrich their poetry. Using this tradition in poetry engenders a profound effect on the reader's feeling. Shakir Altamimi, contemporary Iraqi poet, in regard to the tradition effect on the poetry concepts and its implications, turned to the tradition invitation, applying it with a special care and artistic skill, enjoying many traditional foundations like religious, literary, historical and folkloric. In this research, we intend to study them. This article begins with a theoretical introduction then continue to defines the heritage and motives for its use and its reflects on the poetry. Finally, we examine the poet's inspiration for traditional, intertextual terms with the Qur'an, religious and historical figures.

Keywords: Contemporary Iraqi Poetry, Tradition, Religion, History, Folklore, Shakir Altamimi.

المقدمة

يُعتبر التراث مصدراً سخيّاً من مصادر الإبداع الأدبي، فقد أقبل عليه الكثير من المبدعين يستمدّون منه أفكارهم وتطلّعاتم المختلفة، وذلك من خلال توظيف أحداث، وإشارات وشخصيّات ورموز قادرة على تنميّة الطّاقات الإيحائيّة في النّص الأدبي. استلهام التراث يساعد الكاتب في تقوية المعنى الذي يريد الإفضاء إليه، ويمثّل أرضيّة مشتركة بين المبدع والمتلقّي. والمعطيات التراثيّة المستخدمة في النّص تتمتّع بإيحاءات ودلالات شعوريّة في نفسيّة المتلقّي، «وذلك لأنّ المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة ونوعاً من اللّصوق بوجدانها» (عشري زايد،١٩٩٧م: ١٦) لهذا لجأ الشاعر العربي المعاصر إلى التراث ورموزه ليعبّر من خلالها عن حاضره.

الشاعر شاكر التميمي أحد الشعراء الذين استلهموا من التراث في شعرهم، ولقد أجاد في استدعاء التراث وأبدع في توظيفه وفقاً لما يتطلبه السياق. استدعى في بعض أشعاره شخصيّات تراثية لها انطباع إيجابيّ على المتلقّي وقد استخدم مفردات تراثية مثل النّخلة وغيرها في نصوصه ممّا أدّى إلى إثراءها وعمقها ومدى تأثيرها على المخيال الشعبي، كما أعطى التراث طابعاً إبداعياً وجمالياً لمضمامينه الشعرية.

لقد اعتمدت هذه الدّراسة على المنهج الوصفي– التحليلي، وتسعى أن تكشف عن مدى تأثير التراث على الشعر المعاصر وفاعليته كما وتهدف إلى الكشف عن الدلالات والإيحاءات التراثيّة الكامنة في دواوين شاكر التميمي وتحليلها ثم الإفصاح عن المعطيات التي دعت الشاعر كي يقوم بتوظيف التراث واستدعاءه في نصوصه الشعريّة. وجاء التركيز على أهمّ الروافد التي استلهم منها الشاعر معطياته التراثية وهي الدين والتاريخ والفلكلور، حيث وجد الشاعر فيها دلالات خصبة لرفد نصوصه.

أسئلة البحث

– كيف تجلّى التراث في شعر شاكر التميمي؟

– ماهي المعطيات التراثيّة الأكثر تأثيراً في شعره؟

– مامدى توفيق الشاعر بتوظيف التراث في نتاجاته الشعرية؟

خلفية البحث:

دراسات عدة اهتمت بموضوع توظيف التراث وكشفت عن أسباب لجوء الشاعر المعاصر إلى التراث ومدى أهميته له. ومن الكتب القيّمة التي تناولت توظيف التراث وساعدتنا في إعداد هذا البحث هو كتاب بعنوان "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر" لعلي عشري زايد الذي قدّم لنا دراسة متكاملة بأبعادها المختلفة. وتُوجد كتب قيّمة أخرى كُتبت في هذا المجال اسعفتنا في هذه الدراسة ومنها كتاب تحت عنوان "اتجاهات الشعر العربي المعاصر" لإحسان عباس.

من الدراسات السابقة التي تناولت أشعار شاكر التميمي تجدر الإشارة إلى الرسالة التي قام بها علي عباس جاسم محمد العبيدي لنيل شهادة الماجستير في جامعة الفردوسي بمشهد تحت عنوان "فاعلية الأداء الفني في شعر شاكر هادي التميمي"؛ وبحث تحت عنوان "رؤية الآخر في شعر شاكر هادي التميمي"، للباحث "علي عباس جاسم محمد المحترم" تم نشره في مجلة "اللغة العربية وآدابها" عام ٢٠١٩م. وكما هو معلوم أنّ هذه الدراسات لم تتطرق إلى توظيف التراث في شعر شاكر التميمي.

نتطرق في هذا البحث إلى موضوع توظيف التراث وإفرازاته الدلالية في شعر شاكر هادي التميمي من خلال عملية النقد والتحليل، وسنركّز على تفاصيله وجوانبه التي قام الشاعر بتوظيفها والاهتمام بها وطرق استخدامه لها.

حياة الشاعر

وُلد الأستاذ الدكتور شاكر هادي التميمي في ناحية القاسم بن الإمام موسى بن جعفر التابعة إلى محافظة بابل وهي مدينة علم وعلماء يؤمها الناس من كل مكان للزيّارة. أكمل مرحلة البكالوريوس في كلية الآداب في جامعة صلاح الدين، وكذلك دراسة الماجستير. أمّا الدكتوراه، فأكملها في كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٩٥م. كتب الشعر قبل أكثر من خمس وثلاثين سنة وأصدر خمس مجاميع شعريّة. أشرف على العديد من رسائل الماجستير و أطروحات الدكتوراه وناقش العديد منها. وقد كان خبيراً للعديد من بحوث التّرقيات العلميّة والبحوث والرسائل الجامعيّة. وهو عضو لهيأة التحرير لعدد من المجلات العلميّة وعضو اتحاد الأدباء والكتّاب العرب.

إصداراته:

صدرت للتميمي عدة دراسات، وأصدر حتى الآن خمسة مجاميع شعرية. جئنا بإصداراته حسب الترتيب الزمني على النحو التالي:

١- دراسات في الأدب العربي، ١٩٩٨.
٢- ضباب في الأثير، جمع وإعداد وتحقيق، ٢٠٠٠.
٣- نسيم الصبا لإبن حبيب الحلبي، تحقيق، ٢٠٠١.
٤- الأنموذج في علم البلاغة وتوابعها، للإستراباذي، تحقيق مشترك، ٢٠٠٢.

٥- الكلابيون وجهودهم اللغوية، مشترك، ٢٠٠٢.
٦- البنى الثابتة والمتغيّرة لشعر الغزل في صدر الإسلام والعصر الأموي، ٢٠١٢.
٧- الرامزة في علمي العروض والقافية، تحقيق مشترك، ٢٠١٥.
٨- الدرر النقيّة بشرح المنظومة الخزرجية، تحقيق مشترك، ٢٠١٧.
٩-نسيج الزمن، مجموعة شعرية، ٢٠٠٧.
١٠- خلجات عند إحتضار الأفق، مجموعة شعرية، ٢٠١٧.
١١- وحدها من ترى، مجموعة شعرية، ٢٠١٨.
١٢- ما عاد صوتك ينفع، مجموعة شعرية، ٢٠١٨.
١٣- عندما يجرح الورد، مجموعة شعرية، ٢٠١٨.

التراث لغة واصطلاحاً:

قبل التّطرق إلى موضوع استلهام التراث وأهميته في الشعر العربي المعاصر يجب أن نقوم بتعريف التراث لغة واصطلاحاً كي نمهّد للقارئ ونساعده على استيعاب المباحث بشكل أفضل.

معنى التراث في اللغة: «هو الورث والإرث والميراث وأصل التاء في التراث "الواو"؛ ويقال: وَرِثْتُ فلاناً مالاً أرِثُه وِرْثاً وَوَرْثاً إذا ماتَ مُوَرّثُكَ، فصار ميراثه لك. وَأَوْرَثَ الميتُ وارِثَهُ مالَه أي تركه له» (ابن منظور، ١٩٩٩م: مادة ورث). والتراث بمفهومه الاصطلاحي هو «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد، وعادات، وتجارب، وخِبرات، وفنون، وعلوم، في شعب من الشُّعوب: وهو جزء أساسيٌّ من قِوامه الاجتماعيّ، والإنسانيّ، والسياسيّ، والتاريخيّ، والخلقيّ، ويُوثِّق علائقه بالأجْيال الغابرة الّتي عَمِلتْ على تكْوين هذا التُّراث وإغنائه» (جبور، ١٩٨٤م: ٦٣).

أصبح هذا التراث رافداً خصباً من روافد الرمز. «لم يُعدّ الرمز يقتصر على الحركة أو الإشارة باليد أو العينين بأقلّ عدد ممكن من الكلمات على سبيل الإيجاز؛ وإنّما هو وسيلة فنيّة اتّخذها الأدباء للتعبير عن أهوائهم ومعتقداتهم الدينيّة والسياسية» (مهدي، ٢٠٢٠م: ١٣٥).

دوافع وأسباب توظيف التراث

هناك أسباب عدّة أدّت بالشاعر إلى توظيف التراث في نصوصه الشعريّة. ومن أهمّ الأسباب التي ادّت بالشاعر إلى استلهام وتوظيف التراث هي كالتالي:

١- التفات الشاعر إلى أهمية التراث بعد التأثّر بحركة الإحياء والنظر إليه ككنز لا يقدّر بثمن، حثّه بالتعبير به لا عنه. «فإنّ الشاعر العربي المعاصر قد تنبه إلى أهمية التراث العربي والقدرة الإبداعية الكامنة فيه، فاهتدى إلى قيمة التجارب التراثية وما يتصل بها بعد أن تلمسها في أعمال روّاد حركة الإحياء» (عبدالكريم،٢٠٠٧م: ٥٢).

٢- تعرُّض الأمة العربية إلى الخطر الخارجي يجعل الشاعر يتمسك بجذوره القومية لكي يتغذى من قوة هذه الجذور ويحافظ على إستقامته وأصالته. وبما أنّ التراث القومي هو أصلب هذه الجذور فتمسك بها لكي يصنع منها درعاً صلباً ويستنجد بها للحفاظ على نبله وعراقته.

٣- إدراك الشاعر مدى خصوبة التراث واستخدام الطاقات والمعطيات الموجودة في التراث للتأثير الأعمق. فبانتباهه لهذه الطاقات أغنى الأدب المعاصر. وكلما رغب بإثراء تجاربه قام بإضافة الدراما والموضوعية إليها فسعى جاهداً «أن يضفي على الشكل الفني لتجربته لوناً من الدرامية والموضوعية، حيث استعار بعض تكنيكات الفنون الموضوعية الأخرى؛ كفن المسرحية وفن القصة» (عشري زايد،١٩٩٧م:٢٠).

٤-تذكُّر الشاعر سذاجة الأيام السالفة واشتياقه لها ولروعتها حمله بالرجوع إلى أحضان التراث كي يستفيد من طاقة كلماته للتعبير عن عواطفه وعمّا بداخله بطريقة سهلة بعيدة عن الألفاظ المتصنعة الحديثة. فبدأ ينقل مشاعره وأحاسيسه بطريقة عفوية مستعيناً بقوة التراث ومايسطع من جمالياته فبدع كما الأقدمين.

٥-مواجهة الشاعر بعض الظروف الخاصة كالطغيان السياسي والاجتماعي حثّه على اللجوء إلى التراث والاستعانة بأساليبه لكي يعبّر بحّريّة عن تجاربه وأفكاره بطريقة غير صريحة مختبئاً خلف ظل التراث وما يحتويه من تعابير معبّرة ورموز وشخصيات تساعده على البوح بما يريد.

استلهام التراث وأهميته في الشعر الحديث

أقبل الشعراء على إحياء تراثهم وتمجيده وتعظيمه بالاستلهام من مصادره المختلفة، من الموروث الأدبي والدينيّ والموروثات الأخرى، ومعطيات ودلالات وآليات مختلفة من شخصيات وأحداث ورموز يستلهمون منها في نصوصهم الشعرية. عوامل مختلفة أدّت بالشعراء المعاصرين إلى توظيف التراث في العصر الحديث «وقد أدرك هؤلاء الشعراء أن عليهم لكي يكتشفوا ما في هذا التراث من قيم صالحة للبقاء أن يستوعبوه أشمل استيعاب ويتمثّلوه أعمق تمثّل، فعكفوا عليه يقرؤنه ويمحصّونه، ويتبنون من أصواته ومعطياته ما يتجاوب مع همومهم المعاصرة» (السابق، ١٩٩٧م: ٢٦).

استلهم الشعراء المعاصرون التراث لكي يستمدّوا ويقتبسوا منه المعطيات التي تساعدهم على التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم بصدق وبعمق أكبر. «ولقد كان التراث- في كل العصور- بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم التفجير بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعريّ الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليها كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة» (السابق:٢٦).

والشاعر العراقي المعاصر شاكر التميمي أقبل على هذا التراث ليستفيد من معطياته لرفد نصوصه بطاقات دلالية قادرة على نقل المعاني للمتلقي بطريقة أبلغ وأنصع. وقد تعدّدت مصادر التراث في شعره ومن أبرز هذه المصادر تجدر الإشارة إلى: التراث الديني والتاريخي والشعبي.

التراث الديني

بما أنّ «الدين هو ذلك الجانب الروحي المتأصل في كيان الإنسان (الشاعر)؛ فكانت القيم الدينية والأفكار المنبثقة عن العقيدة تتعانق في فضاءات النصوص الشعرية بتداخل فني انماز به الشاعر؛ ليعكس تجربته مع الجانب الروحي» (الحبوبي والموسوي،٢٠١٧م: ٢٨٩)؛ فالشاعر يُعدّ التراث الديني عموداً راسخاً لنفسه ولهذا يتكئ عليه وينتقي منه شخصيات وتعابير لتقوية بناء نصوصه. ومن خلال توظيف الشاعر وإتقانه للثقافة الدينية بشكل أعمق، نراه يتحدّث عن موضوعات ذات صلة بالدين ويتطرّق إلى الحديث عن القضايا الدينية فيوظّف شخصيات دينيّة حاضرة في ذهن المتلقي وقد أدّي هذا الأمر إلى إثراء نصوصه.

١-التناص القرآني

من الأدوات البارزة التي يستخدمها الشاعر المعاصر لإثراء نصوصه الشعرية هي إستلهام الآيات القرآنية لأنّها تسعفه على تشكيل نصوصه بشكل أروع وأشدّ تأثيراً. فالشاعر المعاصر يدرك تماماً مدى أهمية التناص القرآني لنصوصه. لأنّه «مكّن الشاعر من رؤية عمله من زوايا مختلفة، وبذلك يكون قد أصلّ تجربته المعاصرة، وربطها بجذورها في تراثه العريق من ناحية، واتصاله بوجدان الجماهير من ناحية أخرى» (محمد، لا تا: المقدمة). و لم يخفِ على التميمي روعة التناص القرآني ولطالما ضلّ مدركاً لجماليات ونضوج وتأثير هذا الموضوع على تعابيره ونصوصه. يقول في المقطع التالي:

يتهافتون

وإذا خلوا لنفوسهم

يتقاسمون

كل الغنائم أنّها ملك لهم

وجيوبهم مفتوحة (التميمي، ٢٠١٦م: ص٥٢)

هنا أخذ الشاعر الفكرة التي أراد أن يوصلها للمتلقي ودمجها في الأحوال الراهنة وأشار ببراعة إلى الآية القرآنية التي تقول ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة: ١٤)، لكي يُعبّر عمّا يتظاهر به بعض المسؤولين أمام الشعب وما يفعلونه في الخفى. فصوّر الإنسان المنافق ببراعة وأبدع في تصويره باستخدام

هذه الآية الشريفة، وباستخدامه لكلمات (غنائم، ملك، وجيوبهم مفتوحة) أشار بطريقة ملموسة إلى مدي طمع المنافقين الذين نهبوا ثروات الشعب ومازالوا يطمعون بالأكثر.

وفي هذا المقطع:

منذ أن نادى المنادي

سر هذا الكون في طيّ الصدور

طينةً كانت فصارت «آدما»

في رياض الجنة الغناء يشدو

في سرور

غير أنّي لم أساوم

إنّني شبل عراقي

من تراب الأرض أحيا (التميمي، ٢٠٠٧م: ٣٠)

في هذا المقطع استلهم النص القرآني بطريقة لغوية عفوية ونحت بكلماته صورة جميلة معبّرة عن خلقة الإنسان. وقد عبرّ عن موضوع خلقة النبي آدم من الطين مستنداً إلى هذه الآية القرآنية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون:١٤). وفي الشطر الأخير حينما يقول "من تراب الأرض أحيا" نسج هذا العمل بطريقة مبدعة فالألفاظ فيه تحمل الانفعالات والأحاسيس التي تعبّر عن التواضع. وباستخدامه عبارة "غير أنّي لم أساوم" الشهيرة من قصيدة الشاعر الوطني سميح قاسم قام بمزج التراث القرآني بالتراث الأدبي بطريقة مبدعة وذكية.

فمتى يصحو السّكارى

واليتامى والحيارى

فالملوك اليوم لمّا

دخلوا القرية عاثوا

في أراضيها الفساد

فمتى يرجع لمن يلهو ضميره (التميمي، ٢٠١٧م: ٤١ و٤٢)

استهلم في نصه هذا من الآية الشريفة ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٣٤). للتعبير عن فكرته التي يريد الإفضاء إليها استلهم من النص القرآني الشريف ليختصر القول.

٢-الشخصيات الدينية

لقد أقبل الشعراء على استخدامهم للشخصيات الدينية باعتبارها رافداً من روافد التراث وقد «حظيت الشخصيات الدينية ودلالاتها الرمزيّة بأهمية بالغة لدى الكثير من الشعراء المعاصرين وقد تواصل الشعراء بأشكال مختلفة مع هذه الشخصيات باعتبارها رافداً ثرّاً ومصدراً فنيّاً تساهم بشكل كبير في إغناء القصيدة الشعرية وتخصيبها وتعميق دلالاتها» (حافظ وبلاوي، ٢٠١٨م: ٣٤٠).

لقد أقبل الشعراء على استلهام الشخصيات التراثية لإحياء روح شعرهم؛ فبدأوا يستمدون منها لكي يعبّروا من خلالها عن أحاسيسهم وتجاربهم الشخصية. ومن أبرز الشخصيات الدينية التي انبهر وتأثّر بها الشاعر هي شخصية الإمام حسين (ع) فقد قام الشاعر بتوظيف هذه الشخصية النبيلة في شعره لكي تكون رمزاً للتضحية والجهاد والحرية رغم كل الأسى ودافعاً للإستقامة والسير في طريق الحق رغم كل الصعوبات والظلم. فمن خلال الشاهد التالي:

بعدَ أن مرّت قرون

فوجدنا الشّمر حيّاً

بيننا اليومَ يعيشْ

ويرى فينا الحسين

ليحزَّ النحرَ من رأس الشهيدْ

وابنُ سعدٍ

عاد كي يشعل ناراً

في بيوت الآمنين

وهو يحلمْ بالكراسي

دونما أيّ جديدْ

أيّ أمجاد نغنّي

دونك التّاريخ فاقرأ

كي ترى الحاضر للماضي يعيدْ (التميمي، ٢٠١٨م: ٤٢)

نرى أنّ الشاعر شاكر التميمي استدعى شخصية الإمام الحسين في هذا المقبوس باعتباره رمزاً للمظلوم، وفي سياق استدعاء الشاعر لهذه الشخصية قام باستدعاء شخصيتن هما الشمر وابن سعد باعتبارهما رمزاً للظالم الذي يعيد نفسه على مدى التاريخ. ذكر الشاعر اسم "الشمر" قبل أن يذكر شخصية الامام الحسين، ثم جاء بعدها باسم "ابن سعد"، ويبدو لنا أنّ الشاعر تعمّد في هذا الأمر فأراد أن يصوّر بصورة ملموسة للمتلقي مدى الظلم الذي يحيط بالإمام الحسين / المواطن المظلوم من كل جانب. ومن خلال هذه الإشارة الذكية إلى الماضي أراد أن يحذّر أبناء أمته من الظالمين المتربصين لهم. جمعَ الشاعر شخصيات متضادة في هذا النصّ، إذ «تُعدّ الثنائيات الضديّة من الظواهر الأسلوبية في النصّ الشعري، فهي إحدى المهيمنات البلاغية التي لها دور مهم في صياغة النسق البنائي» (الهلالي، ٢٠١٩م: ١٢٦).

وفي المقطع التالي يقول:

يا حسين يا حسين

صارت الأسماء موتاً

نرتديه

دون أن نخشى ففي الموت حياة

وإذا ما قطّعوا منّا اليدين

صرخت كل الحناجر

نحن اتباع الحسين (التميمي، ٢٠١٦م: ١٠)

استدعى الشاعر شخصية الإمام مرتين: المرّة الأولى في بداية المقبوس وبشكل نداء مكرّر (يا حسين يا حسين) ومرّة أخرى في نهاية المقبوس (نحن أتباع الحسين) وقد شجّع أبناء بلده على التحلّي بالشجاعة مفتخرين ومتباهين بذلك لأنّهم أتباع الحسين، ومرّة من خلال استدعاء صفاته وهي الشجاعة والصمود حتى يتمثّلوا بهذه الصفات في حياتهم. ومن الشخصيات الأخرى التي وظّفها الشاعر شخصية أبي الفضل العباس (ع) حينما الأعداء قطّعوا يديه ولكنّه ظلّ صامداً شامخاً يدافع عن أهل بيته وإمامه فالشاعر هنا يدعو أهل بلده إلى الصبر وعدم الخنوع حتّى ولو أدّى ذلك إلى قطع أيديهم وتعذيبهم.

التراث التاريخي

التراث التاريخي يشتمل على الشخصيات والوقائع التاريخية التي مرّت على طول التاريخ وهو يُعدّ من الروافد التي ينهل منها الشاعر ليضيف الإشراق لتجاربه على حسب إنجازات ثقافته وعصره. ويسعى الشاعر أن يعكس تجاربه وعواطفه في مرآة التراث التاريخي بما فيه من شخصيات وحوادث. فيستعين بها «ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول، وليضفي عليها ذلك البُعد التاريخي الحضاري، الذي يمنحها لوناً من جلال العراقة» (عشري زايد،١٩٩٧م:١٢٠).

الشخصيات التاريخية

توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر يُعتبر تقنية يستخدمها الشاعر ليعبّر من خلالها عن مواقف وتجارب مرّ بها هو أو آخرون. «فاستدعاء الشخصيات والحوداث التاريخية في الشعر تدلّ على سعة الشاعر الثقافية ومعرفته بالتراث وهو ما يزود مقدرته الشعرية وحتى العلمية بما في التراث من قيم فنية. فلا ضير إذا اشتدّت أواصر الشاعر المسلم بتراثه وتاريخه فهو أشدّ التصاقاً من غيره بتراثه لما يرى فيه من مجد وعزّ وفي حاضره من تقهقر وهزيمة وتخاذل وتقاعس فيستذكر ما كان» (عبيات وزميلاه، ١٤٣٥هـ: ٤٠٦).

ولا يخفى على الشاعر أنّ هذا النوع من التوظيف يجعل لنصوصه قيمة خاصة وطاقة لإغناء تجاربه وتثير مشاعر المتلقي وتقرّبه من محتوى شعره. وبناءً على ماسبق نرى بوضوح إنّ الشاعر ينتقي من التاريخ بعض الشخصيات التي تتلائم مع القضايا التي ينوي طرحها لكي يجعل تأثيرها أعمق في نفس المتلقي. وهذه الشخصيات تكون مختلفة الأبعاد فبعضها ذو بُعد ايجابي والبعض الآخر ذو بُعد سلبي. في النص التالي يقول الشاعر:

أرعَبتَهُم حتّى وأنت بِسِجنِهِمْ

فَسَقوكَ سماً كي تَغيبَ ليَهجعوا

حتّى إذا ما غبتَ زادَ أنينُهُمْ

أفَلَتْ نجومُهُمُ ونجمُكَ يَسطعُ

أين الرّشيد وقصرهُ وحكومةٌ

كانت لَهُ في كلّ آنٍ تَخضَعُ

لَمْ يبقَ منها غَيرَ ذكرٍ أسوَدٍ (التميمي، ٢٠١٨م: ٧١)

يحاول الشاعر أن ينقل الفكرة التي هو بصدد تقريبها إلى مخيّلة المتلقي عن طريق استلهام شخصية تاريخية أي شخصية الرشيد فرأى فيها شخصية قوية ذات هيبة ولكن بالرغم من هذه السطوة والقوّة وبروجه المشيّدة لم تسلم من بطش الزمان فبقى ذكرها أسود في جبهة التاريخ.

وفي الشاهد التالي يقول التميمي:

وأتانا الحاكمونْ

لعليٍّ ينتمونْ

وعلى نَهجِ أبي سفيان راحوا يعملون

فأحالوها خراباً ودمار

ما الذي قد حلّ فينا

غَيرَ جوع ودمار (التميمي، ٢٠١٧م: ٦١)

جاء الشاعر في هذا المقبوس بذكره لشخصيتين هما الإمام علي وأبي سفيان وما دارت من أحداث تاريخية في زمنهما. يهدف الشاعر من خلال توظيفه لشخصية أبي سفيان أن يصوّرها كنقطة مخالفة لشخصية الإمام علي (ع)؛ لكي يصوّر للمتلقي صورة الأشخاص الذين ينافقون ويتظاهرون بأنّهم ينتهجون النهج العلوي ولكن في الحقيقة هم يترسّمون خُطى أبي سفيان، الذي صُوّر كشخصية سلبية ومخالفة للخير والهداية. فابتدع الشاعر صورة جديدة لترسيم هذه الشخصية بطريقة مختلفة.

التراث الشعبي (الفولكلور)

الفلكلور «هو المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة "التراث الشفوي" وهو أيضاً: العلم الذي يدرس هذه المأثورات» (العنتيل، ١٩٦٥م:٤٤). يلجأ بعض الشعراء إلى الفلكلور / التراث الشعبيّ لكي يقتربوا من مشاعر المتلقّي أكثر ويُسهّلوا عليه فهم قصدهم بشكل أفضل وأدق. واستخدام هذا التراث على رغم سهولته لقربه من ذائقة المتلقّي وسلاسة تعابيره إلّا أنّه صعب في نفس الوقت لأنّه يحتاج الى دقة متميّزة في انتقاء الكلمات السهلة الفهم المعبّرة عن التراث الشعبي.

«وتكمن الجاذبية في التراث الشعبي في أنّه يمثّل جسراً ممتداً بين الشاعر والناس من حوله، فهو بذلك يؤدّي دور المسرحية – إلى حد ما– في إيقاظ الشعور القومي وإبقائه حيّاً، ولهذا لا غرابة أن نجد الإقبال على هذا اللون التراثي كبيراً عند بعض الشعراء» (عباس، ١٩٧٨م: ١١٨). يُوظَّف التراث الشعبي بأشكاله المختلفة ومن أبرزها هي الحكاية، والمثل، والتعابير الشعبية، والأغنية والمعتقدات والشخصيات والسير الشعبية. وقد استخدم الشاعر شاكر التميمي هذا النوع من التراث لما وجد فيه من طاقات تعبيرية وكثافة شعورية:

ذكّريني فَغداً نمضي وتبقى الذكرياتْ

كلّما مَرّتْ بِسمْعي بسمةٌ جذلى تغنّي

راحت الحلوة يعيني ما تباتْ

آهِ من صبر الليالي

من صَباتي إذا جَنّ المساء

أملي يوماً أراها في عيوني الحالمات (التميمي، ٢٠١٦م:١٢)

في هذا المقبوس يريد الشاعر أن يعبّر عن مدى أهمية الذكريات لأنّ بعد الرحيل لا يبقى سواها (فَغداً نمضي وتبقى الذكرياتْ). وبإستخدام عبارة "راحت الحلوه يعيني ما تبات" قام بتوظيف هذا التعبير الشعبي فاستطاع التقرّب من مشاعر المتلقي وذائقته الشعبية بطريقة عفوية ومحبّبة. ثم يستطرد الشاعر في نصه ليعبّر عن مدى تعبه من الصبر على فراق الحبيبة ويسعى أن يُطلق آهات قلبه المكبوتة ويستمرّ في التعبير عمّا هو موجود في أحاسيسه وعن اشتياقه للّقاء بالحبيبة. وفي المقبوس التالي يقول:

يا حَمَدْ جَفَّتْ يَنابيعُ الأماني

بِرَغيفِ الخبزِ كانوا يَحلَمونْ

ساعة السّودة عَليهُمْ

بِرِقابِ النّاسِ صاروا يَحكمونْ

فَهَنيئاً لِبلادِ الرّافدينْ

إنَّ أصحابَ المنافي

حَلَّقوا اليومَ بعيداً

في سَماءِ الفاسدينْ

ففي هذا المقبوس المشحون بطابع تراثي، استفتح الشاعر نصه بخطابه لشخصية (حمد) المستوحاة من الذاكرة الشعبية، ثم في السطر الثالث يقول الشاعر (ساعة السّودة عَليهُمْ) متبرّماً من الفاسدين الذين أصبحوا يحكمون رقاب الناس، فمن شدّة

هذا التبرّم والتضجّر لم يجد الشاعر في اللغة الفصحى تعبيراً أبلغ وأدق من هذا التعبير الشعبي الذي يكشف حقيقتهم وسجيتهم. فهذه التعابير الشعبية في نص القصيدة كفيلة بنقل الفكرة للمتلقي بمفردات قليلة ووجيزة.

وفي قصيدة تحمل عنوان «باسم الدين باكونه الحرامية» يقول:

أنعم الله عليهم

بعد جوعٍ وفراق

ثم عادوا للعراق

خبرة كانت قوّية

وبشعار الدين باكونا الحراميّة (التميمي، ٢٠١٧م: ٢٦).

لقد استدعى الشاعر في هذه القصيدة هتافاً ردّده المتظاهرون وهو يكشف عن نوايا خبيثة للصوص الذين يتسترون بالدين في سرقات ممتلكات الشعب. فقد اختار الشاعر هذا الهتاف عنواناً للقصيدة وقد ختمها بهذا الهتاف أيضاً لطاقته الدلالية العميقة في نقل الفكرة بشكل أبلغ وأنجع.

الخاتمة:

– شكّل التراث حضوراً فاعلاً ومؤثراً في شعر شاكر التميمي فقد أقبل على توظيفه والإفادة منه لما وجد فيه من طاقات تعبيرية مكثّفة. ظهر التراث في نصوصه بصورة استلهام وتضمين من روافد دينية وتاريخية وشعبية لكي يحفّز ذهن المتلقي لاستقبال أفكاره وتجاربه التي يريد التعبير عنها. وقد تجلّى في شعره كشخصيات وصور وتجارب ملموسة وحية.

– ألحّ الشاعر شاكر التميمي على استدعاء معطيات تراثية مليئة بالإيحاءات والإفرازات الدلالية من أبرزها التناص القرآني والتعابير الشعبية وبالأخص الشخصيات الدينية والتاريخية على أمل أن يساهم في إنارة وعي أمته لأنّ هذه المعطيات كانت متغلغلة في نفسية المتلقي وكانت تؤدّي دوراً بارزاً في إيضاح فكرة الشاعر وبلورة تعابيره ولها تأثير واضح في نصوصه.

– وظّف التميمي التراث في شعره لكي يستمد منه الطاقات والإيحاءات التي تغني النصوص وتسعفه بالتعبير عن خلجات نفسه وعن المعاناة والتجارب التي مرّ بها هو أو أبناء أمته. عند تصفّح أشعاره نرى أنّه حقاً أبدع ونجح بتوظيف هذه المعطيات التراثية. فمهارته في استلهام التراث منحت نصوصه روعة وجمالاً من حيث المعنى والأسلوب.

Sources and references:

- The Holy Quran.

- Abbas, Ihsan (1978); Trends in Contemporary Arab Poetry, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters.

- Abayat, Ati and his colleagues (1435); "The Historical Symbol and its Semantic Fields in Contemporary Palestinian Poetry", Journal of Arabic Language and Literature, Year 10, Issue 3, pp. 405-430.

- Ashry Zayed, Ali (1997); Summoning heritage figures in contemporary Arabic poetry, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

- Al-Atil, Fawzi (1965); What is Folklore (Studies in Folklore), Egypt: Dar Al-Maaref. Abdul Karim, Ahmed Zuhair (2007); Recruitment of pre-Islamic heritage in contemporary Arab poetry, Master Thesis in Arabic Language and Literature, University of Jordan.

- Haboubi, Farouk Mahmoud and Zainab Aziz Al-Mousawi (2017); "Religious Heritage in Arabic Poetry in the Holy City of Karbala", Al-Bahith Journal, No. 24, pp. 289-303.

- Hafiz, Hussein Lifta and Messenger of Blawi (2018); "Recalling Imam Hussain's Personality and Its Symbolic Effectiveness in the Poetry of Nizar Qabbani," Basra Research Journal for Humanities, No. 2, pp. 340-353.

- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram (1999); Tongue of the Arabs, Beirut: Dar Sader.

- Jabbour, Abd al-Nur (1979); Literary Dictionary, Beirut: Dar Al-Alam for Millions.

- Muhammad, Ayoub Salem; Inspiration from Quranic Verses in Contemporary Arab Poetry, Master Thesis, Al-Bayt University.

- Al-Tamimi, Shaker Hadi, (2007); The Fabric of Time, Baghdad, Al-Burhan Press.
---------- (2016); The Khalijat at the Dying Horizon, 1st Fl., Iraq: Ibn Al-Skait House for Printing, Publishing and Distribution.
---------- (2017); Only you see, Babel, Dar Al-Sadiq Cultural Foundation.
---------- (2018); When flowers, Babylon, injure the Dar al-Sadiq Cultural Foundation.
- Mahdi, Adnan Kazim (2020); "The Symbol in the Shields of Abi Al-Ala 'Al-Maari", Al-Qadisiyah Journal for Humanities, Volume 23, Issue 1, pp. 133-188.
- Al-Hilali, Wissam Muhammad Munshid Bandar (2019); "Anti-Diodes in the Poetry of Safaa Al-Haidari," Al-Qadisiyah Journal for Humanities, Volume 22, Number 3, pp. 124-136.